التعبئة العسكرية للعمليات الدفاعية في فكر ائمة اهل البيت (عليهم السلام)

مهند جبار كاظم

جامعة الأديان والمذاهب- ايران

muhanadjabarkadhim@gmail.com

د.محمد جوادان

جامعة الأديان والمذاهب- ايران

mailto:zzzmouhnd@gmail.com

الكلمات المفتاحية: التعبئة العسكرية ، الإمام علي ، العمليات العسكرية ، ائمة اهل البيت ، الإمام الحسن.

الملخص:

ان أئمة أهل البيت عليهم السلام قد طبقوا مبدأ الاستخدام الصحيح للأرض في عدة مواقف عسكرية، لأنهم يحرصون على دخول ساحة المعركة وإجراء البحوث العسكرية واختيار المناسب منها وترك ما ليس عدواً مناسبا؛ من أجل ضمان السيطرة على الأرض، كتعويض عن السعة غير الكافية. كم ا أن الإمام (عليه السلام) كان لديه الكثير من الاهتمام في الشؤون السياسية والاجتماعية خلال مسيرته العسكرية مع الرسول (صلى الله عليه وآله) وبعد وفاته وعندما كان الخليفة، وجميع الاستراتيجيات التي خططها ونفذها بحزم مثل موسوعة العلوم والفنون الخاصة به، فان كله يثبت أن المشركين تركوا صفة إيجابية في نفوس المسلمين، وهي الحرب وقدرتها على هزيمة العدو على جميع المستويات بما في ذلك الحرب

الإعلامية.كما ان أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا يأخذون مبدأ الأمان للرعية على محمل الجد، لأنه جزء مهم لا ينفصل عن الإسلام، هذا لأنه مطلب إنساني فطري وأحد أعمدة الحياة الكريمة، وهو لا يقل أهمية عن الطعام لأننا لا نستطيع تخيل الحياة بدون الغذاء والأمن بطريقة متماسكة.

MILITARY MOBILIZATION FOR DEFENSIVE OPERATIONS IN THE THOUGHT OF THE IMAMS OF AHL AL-BAYT (PEACE BE UPON THEM)

Muhanned jabbar Kadem

muhanadjabarkadhim@gmail.com

University of Religions and denominations-Iran

Dr.Muhammad Jawdan

mailto:zzzmouhnd@gmail.com

University of Religions and denominations-Iran

Keywords: Military mobilization, Imam Ali, military operations, imams of Ahl al-Bayt, Imam Hassan.

Abstract:

The imams of Ahl al-Bayt, peace be upon them, have applied the principle of the correct use of land in several military situations, because they are keen to enter the battlefield, conduct military research, choose the appropriate ones and leave what is not a suitable enemy; In order to ensure control of the ground, as compensation for insufficient capacity. Just as the Imam (peace be upon him) had a lot of interest in political and social affairs during his military career with the Messenger (may God bless him and his family) and after his death and when he

was the Caliph, and all the strategies that he planned and implemented resolutely like his Encyclopedia of Sciences and Arts, all prove The polytheists left a positive characteristic in the hearts of Muslims, which is war and its ability to defeat the enemy at all levels, including the media war. The imams of Ahl al-Bayt, peace be upon them, were taking the principle of safety for the subjects seriously, because it is an important and inseparable part of Islam, because An innate human requirement and one of the pillars of a decent life, which is no less important than food because we cannot imagine life without (food and security) in a coherent way.

المقدمة:

تعتبر التعبئة العسكرية للعمليات الدفاعية في فكر ائمة اهل البيت عليهم السلام من القضايا المهمة في التعبئة وذلك لاسباب كثير منها كثرة مشاركة اهل البيت عليهم السلام في العمليات

الدفاعية عن الإسلام والمسلين منها في معركة الخندق وبني القينقاع وبدر وغيرها من الحروب التي شارك بها اهل البيت عليهم السلام، واحتوى الفصل الثاني على مبحثين، المبحث الأول يشير الى مبادئ العمل الدفاعي وفقًا للفن العسكري للإمام الخالص، بما في ذلك الاستخدام الصحيح للأرض من حيث الهيكل والشكل، تلعب طبيعة السطح دورا مهمًا في الحرب البرية، بحيث يمكن للقائد العسكري استغلال الأرض قدر الإمكان لصالحه. جيشه، الذي يجسد في فهم عميق لسطح الأرض، وحالة الأرض واستكشافها العسكري.

اما المبحث الثاني فيشير الى أنواع العمليات الدفاعية في زمن الائمة الاطهار، منها العمليات الدفاعية الثابتة في زمن الائمة الاطهار، والعمليات الدفاعية المتغيرة في زمن الائمة الاطهار، إذا درسنا مسار المعركة الدفاعية في سيرة الإمام أهل البيت فربما كانوا آمنين، سنجد أن الإمام استخدم هذا العمل الدفاعي في معارك كثيرة)بدر، أحد، خندق، صفين، الجمل(.يسمى الدفاع المتنقل)دفاع مؤجل

المبحث الأول: مبادئ العمليات الدفاعية وفق الفن العسكري عند الائمة الاطهار

المطلب الأول: استخدام الأرض بصورة صحيحة

من حيث الهيكل والشكل، تلعب طبيعة سطح الأرض دورا مهمًا في الحرب البرية، فيمكن للقائد العسكري تطوير أكبر قدر ممكن من الأراضي لصالح جيشه، ويتجلى ذلك في الفهم العميق لسطح الأرض، استكشاف حالة الأرض وجوانبها العسكرية. الجوانب العسكرية البرية تشمل:)الرؤية ومدى الرماي ة، الإخفاء والغطاء الاحتمالات، العوائق والتحصينات، الحزم الحساسة والنقاط الرئيسية، تقاطعات الممرات والاقتراب من العدو(. [i]

ان أئمة أهل البيت عليهم السلام قد طبقوا مبدأ الاستخدام الصحيح للأرض في عدة مواقف عسكرية، ولأنهم يحرصون على دخول ساحة المعركة وإجراء البحوث العسكرية واختيار المناسب وترك العدو غير اللائق ؛ ومن أجل ضمان السيطرة على الأرض، كتعويض عن عدم القدرة، يتجلى ذلك في الفتوحات التالي ة :

أولاً : استخدام الأرض في معركة بالدر: يعتبر القادة المخلصون العنصر الأقوى في معركة بالدر بعد رسل الله، حيث يساعدهم على إجراء البحوث العسكرية على الأرض، واختيار ساحة المعركة المناسبة، والتغلب على العدو، واختيار المكان المناسب واختيار المعسكر الأساسي والتحكم في مصدر المياه والتأكد من قوة الجانبين والتحكم في الأماكن المهمة.

ثانيا: استخدام الأرض في معركة صفين: عبر الإمام علي (عليه السلام) عن رغبته في أن يسلم زياد بن النضر جبهة جيشه إليه في معركة صفين،«لم تبدأ الكتائب والقبائل في الصباح بزحف نحو ليلاً بالإضافة إلى التعبئة، إذا أمرت بالهجوم أو كنت مكروهًا، فقد تقدمت في التعبئة» (2).

أعرب الإمام علي)عليه السلام(عن وصاياه لزياد بن النضر في صفين إذا قام أحد الأعداء بمعسكرات أو معسكرا ضدك، فقم بإعداد معسكرك حيث يصل الجيش، أو عند سفح جبل أو في ساحل النهر؛ بغض النظر عن مدى سوء حالتك أو مدى وضعك، دع معركتك تكون من جانب واحد.

واجعلوا مناصريكم في صياصي الجبال [3]، مع أسمى كرام والنهر؛ يروونك لئلا يأتي إليك أعداء من خوف أو أما ن. [4]

ثالثا: استخدام الأرض في معارك الطف: كان من أول الأشياء التي قام بها الإمام الحسين في دفاعه هو دراسةساحة المعركة والاستفادة من طبيعتها الجغرافية للدفاع. [5]

يتم تطبيق هذه الإستراتيجية على أرض كربلاء عندما يصل الإمام الحسين)عليه السلا م(إلى أرض كربلاء ويكتشف هذه الأرض، فلها الخصائص التالية:

1. أرض زراعية، عبر نهر اسمه العلقمي، يحيط بها: نخيل في النهر.
2. وله هضبة عرفت فيما بعد بجبل الزينبي.
3. بها واد أو منخفض مجاور لهذه الهضبة أو الت ل.
4. ب سّط الأرض على التل ومحيطها.

لذا:

أ: الامام الحسين)عليه السلا م(اختار المخيم بجانب جبل الزينبي فأعاد الخيمة غربا ووجهها شرقا وواجهته على طول جبل الزينبي.

ب: تحديد منطقة المعركة بين نهري تل الزينبي والقم ي.

ج: يعبد عن يمينه، تشرق الشمس أمامه ويلتقي عيني هـ.

د: أصبح وادي الطف الجانب الأيسر من المخيم، فتعرف ساحة المعركة بين المعسكرين اليوم بشارع باب القبلة وشارع السدرة حيث تم ذبح الطفل الرضيع.

المطلب الثاني: المساندة للجبهة المدافعة

أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين يأخذون على محمل الجد مبدأ الأمن لرعاياهم لأنه جزء مهم لا يتجزأ من الإسلام، وهذا لا يقل أهمية عن الطعام، لأننا لا نستطيع تخيل حياة بدون)طعام وأما ن(بطريقة متماسكة، وهو ما يعبر عنه القرآن الكريم بقوله عز وجل: }فليعْبدُ وا ربَّ هَذَا البي ت ال ذي أطعَمَهُمْ منْ جُوعٍ وآمَنهُمْ منْ خَوْفٍ

أوعز الإسلام إلى الجهاديين المؤمنين بأخذ كل الاحتياطات والحيطة والحذر فقال تبارك وتعالى: }يَا أيهَا ال ذينَ

آمَنوا خُذُوا حذْركَمْ فان فروا ثباتٍ أ و انفروا جَميعا{ [7]، كما يشرع الله عز وجل الدعاء من الخوف أثناء الحرب،وحفظ السلاح في الصلاة لزيادة تحقيق التأمين حتى لا يفاجأ المسلمو ن.

فيجب على المدافع اتخاذ بعض الإجراءات لتحقيق التأمين في الدفاع، ومنها: [8]

1. التحقيق.
2. استخدم قوة داعمة في الأمام والجانبين.
3. الدفاع السلبي من خلال التمويه والخداع والمعلومات المضللة والنشاط الإعلامي، إلخ.
4. ضع في اعتبارك أمن الاتصالات والرسائل والتجسس وغيرها من المعلومات.
5. إجراءات مكافحة التجسس.

وقد أتخذ ائمة اهل البيت عليهم السلام بمرتكزات واسس تتعلق بالأمن التي تكفل للرعية من اجل الحفاظ عليهم وعدم التنكيل بهم، وذلك في كافة المهمات العسكرية والأمنية، وفي سيرة ائمة اهل البيت عليهم السلام المطهرة الكثير من الشواهد على ذلك، ومنها ما يلي:

1. الحفاظ على الأسرار والسرية: يعتبر الحفاظ على الأسرار ومعلومات العدو من الركائز الأساسية للتأمين العسكري، كانت السرية من العرب، ولا تزال من سمات العرب الحقيقيين، بالإضافة إلى واجب المسلمين في الحفاظ على السرية في السلم والحرب.

وذكر أهل البيت)عليه السلام(أن حفظ الأسرار في القرآن هو سبب الانتصار وتحقيق الأهداف وتجنب أذى الخصوم.

2. اختار الأئمة)عليه السلام(الوقت الآمن والطريق إلى ساحة المعركة: لا شك في أنه إذا أراد القائد جلب جيشه إلى ساحة المعركة بأمان، فعليه اختيار طريق آمن بعيدًا عن ساحة المعركة، فضلا عن الأخطار والتهديدات المحتملة، وإخفاقات خطط القوة وعملياتها، فربما يكون الأئمة في سلام، وحريصين على أن يختاروا سلميا كيف ومتى يقاتلون وفق هذا المبدأ.

فيستفيد مفكرو الخطة من الدروس التالية، ومنها :

1. الأئمة عليهم السلام يحرصون على السير في طريق لن يمر أمام العدو، تفاديًا لكمين نصبه العدو لمفاجأةالمسلمين، حتى لا يرصدوا ق وّة الأعداء، فالمسلمون مع تقدمهم، حتى يظهر عدد قليل من المسلمين، فيسرعواالقتال عندما يكون المسلمون في مثل هذه الحالة الضعيفة، والانتشار الجيد والعشوائي للمسلمين سيساعدهم على تحقيق الهيمنة العسكري ة.

2. استغل الوقت الذي اختاره الإمام)عليه السلا م(لإخفاء ا لحركة العسكرية وإخفائها أثناء مسيرتهم في ساحة المعركة، لأنه اختار آخر وردية من الليل لحركته، وفي هذا الوقت الخاص كان العدو نائمًا ومتعبا، سهروا حتى وقت متأخر، وكانوا منهكين من الرحلة وطول المشقة.

3. عمليات الاستخبارات الاستطلاعية: للعمليات الاستخبارية الاستطلاعية أثر كبير في ضمان تماسك القوات الصديقة وهزيمة العدو، يتم الجمع بين عمليات الاستطلاع والعمليات الاستخباراتية لأن الهدف الأساسي لكليهما هو جمع معلومات عن العدو، ولأنه يتيح لنا تقدير أنشطة العدو وتحركاته وأعداده وأعداده ومدى استعداده للقتال والوجه، ويمكنه أيضًا استخدام

المعلومات الاستخباراتية التي تم جمعها لتحديد النوايا الحقيقية للعدو ونواياه الخادعة، بالنسبة للعدو، يمكن للقائد تطوير خطته الدفاعية أو خطة الهجوم المضاد، وبناءً على المعلومات الواردة من قوة الاستطلاع، تقدير وتحديد الطريقة الأنسب لحماية قو ة الدفاع وحمايتها.

يقول محمد جمال الدين محفوظ: «أسس العلم العسكري المبدأ القائل بأن خطة القائد في ساحة المعركة تستند إلى المعلومات التي يمتلكها، وكلما كانت المعلومات أكثر دقة واكتمالاً، زادت فرصة نجاح الخطة، لذلك فإن الواجب الضروري لجميع القادة هو اتخاذ كل ما يمكن أن يمدهم بالمعلومات عن العدو ونواياه وأفعاله وغيرها من المعلومات» [9].

المبحث الثاني: أنواع العمليات الدفاعية في زمن الائمة الاطهار

المطلب الأول: العمليات الدفاعية الثابتة في زمن الائمة الاطهار

هناك العديد من أنواع العمليات الدفاعية وأنواع الدفاع، وأنواع القتال)الدفاع الثابت والدفاع المتحرك(، وأنواع التحضير)الدفاع الانتهازي والدفاع في حالات الطوارئ(وأنماط الدفاع الأرضي)الدفاع التقليدي، الدفاع الدائري، دفاع الارتكاز، دفاع النهر(، الدفاع عن ا لمنحدرات، دفاع سكني([10]، تنقسم هذه الأنواع إلى ثلاثة أنواع:)دفاع متحرك – دفاع ثابت – عمل تراجع(. [11]

لو درسنا مسار المعارك الدفاعية في سيرة أئمة أهل البيت فربما كانوا آمنين، سنجد أن الأئمة استخدموا هذاالعمل الدفاعي في معارك كثيرة)بدر، أحد، خندق، صفين، والجا ه(مارس ومعارك كثيرة لهم مع أتباع الإمام عليهالسلام على النحو التالي :

يسمى الدفاع المتنقل)دفاع مؤج ل(وهو نوع من الدفاع يعتمد على التخلي مؤقتا عن جزء من الأرض، وسحب العدو إلى منطقة قتل محددة، وتدميرها بكل قوة نيران الأسلحة، والهجوم المضاد، الرؤساء المناسبون والحسم مفيدون له. من أجل جذب العدو إلى مكان معين، يمكن للجيش التنازل مؤقتا عن جزء من الأرض. [12] ووجدنا تطبيق هذا المبدأ في العمليات العسكرية في سيرة ائمة أهل البيت عليهم السلام، من خلال المواقف التالية:

أولاً : الدفاع المتحرك لبدر الكبرى :

دارت المعركة في هذه المعركة خارج المدينة بطريقة دفاعية متحركة، وكان هدف المسلمين كسر سلطة قريش وقتل أكبر عدد ممكن منهم وقادتهم، فلم يكن لدى المسلمين في ذلك الوقت أي هدف للدفاع عن الأرض وحمايتها.

قال امير المؤمنين)عليه السلا م(: «ولما كانت ليلة بدر قال رسول الله)صلى الله عليه وآله(: من يسقي لنا الماء؟ ثم امتنع الناس عن التصويت، فقال: قمت وعانقت مزمار القربة، ثم أتيت إلى بئر بعيد عن قاع الأرض، ونزلت فيه فأنزل الله على جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، كانوا مستعدين لذلك نصرة لمحمد)صلى الله عليه وآل ه(وحزبه فسقطوا من السماء بصوت يذهل كل من يسمعه في الكرامة والتوقير والتمجيد» [13].

وجاء عن محمّد بن الحنفية انه أرسل رسول الله)صلى الله عليه وآله(عليّ)عليه السلام(في غزوة بدر ليجلب له الماء فسكت أصحابه عنه فلما وصل إلى البئر، ملأ القربة وأخرجه، فجاءت ريح فملأها، فجاءت الريح فملأها، وهكذا الثالثة، فلما امتلأت الرابعة، أحضرها النبي وأخبره عن ذلك. [14]

فقال رسول الله)صلى الله عليه وآله(: «أما بالنسبة للريح الأولى، فقد سلمك جبرائيل من بين ألف ملائكة، واستقبلتك الريح الثانية ميكائيل من بين ألف ملائكة، واستقبلتك الريح الثالثة إسرافيل بين ألف ملائكة» [15].

لقد أثبت التاريخ أن غزوة بدر وقعت في رمضان، وكان المسلمون في حالة صيام وعبادة، مما زاد من إرهاقهم وضعف بنيتهم، وبحسب المعطيات المادية للحدث، بالإضافة إلى قلة الأعداد، والمعدات بالمقارنة مع العصور القديمة، عدد جنود المسلمين 313 يقابلهم 950 من قريش من حيث المعدات والتجهيزات هو والمسلمون اثنانمن الفرسان وسبعون من الإبل بينما الوثنيون هناك مئتان خيل يقال انها اربع مئة الى سبع مئة بعير [16]، كما نعلمجميعاً فإن هذا الخلل الخطير في ميزان القوى له تأثير كبير على معنويات المقاتلين، لأنه وفقاً للمعايير المادية، لا يمكن أن يكون النصر حليفًا للمسلمين، حسب الإمام الباقر)عليه السلا م(، ولا يمكن تحقيق النصر بدون امير المؤمنين عليه السلام، مما يدل على مكانته المجيدة ونصرة الله تعالى، لذلك

قال الإمام الباقر)عليه السلام(: «في يوم بدر نزل رجل اسمه رضوان من السماء وقال: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي: هل رأيت البدر؟ قال:

نعم، قال: صف ما رأيت، قال: رأيت علي بن أبي طالب، فتى شاب عبقري، يهرب منه، كأن رداءه ثوبه وحش، وعلي هو الذي قتل مخيم قريش فكلما اجتمعت جماعة من قريش يهاجمونهم ويقتلونهم» [17].

بلغ عدد المشركين الذين قتلوا في غزوة بدر 72. يعرف ا لمؤرخون أن امير المؤمنين)عليه السلام(قتل نصف المشركين حتى الموت والمسلمين متورطون في النصف الآخر، لكن المهم أن امير المؤمنين)عليه السلام(والموتى هم الناس وأبطالهم ووجوههم. [18]

ثانيا: الدفاع المتحرك في معركة أح د :

تعتبر معركة أحد، حيث شارك فيها امير الم ؤمنين)عليه السلام(وهي واحدة من المعارك الدفاعية المتنقلة، فالرسول)صلى الله عليه وآله(مع امير المؤمنين)عليه السلا م(وأتباع المهاجرين والأنصار دأبوا للدفاع عن المدينة المنورة خارج حدودها، فرغب الرسول)صلى الله عليه وآله(في البقاء في هذه المدينة)أي تطبيق مبادئ دفاعية ثابتة(لكنه اخذ آراء بعض الصحابة وأرادوا الخروج بدلاً من البقاء في المدينة، واختار النبي)صلى الله عليه وآله(مكان هذه المعركة استقر الجيش على جبل أحد مدعوماً بالجبل، وأصل الجبل وانتشار القوات متناسب مع التفوق العسكري المطلوب في ساحة الم عركة، قائلاً : «لا معركة حتى نأمره للقتال» [19].

وميزة هذا الموقف العسكري الذي اختاره رسول الله)صلى الله عليه وآله(أنه أقرب حصن إلى المدينة إذا كانت ساحة المعركة بعيدة، وإذا ذهب أهل قريش إلى هناك، فسيكون من الصعب الدفاع عن المدينة قبل الحرب أو أثناء الحرب، وهي ليست قريبة جدًا من المدينة، لذلك ستنتشر الحرب داخل المدينة، وسيتم تقسيم الجيش خارج المدينة، ولا يمكن السيطرة على الوضع، ولا يمكن للمعركة أن تكو ن. تحت الإشراف.

وأسباب إصرارهم على القتال خارج المدينة المنورة هي كالتالي: [20]

1. وعد الأنصار بالدفاع عن رسول الله)صلى الله عليه وآله(في مبايعة العقبة، فغالبيتهم يعتقد أن البقاء فيالمدينة لا ينصر رسول الله)صلى الله عليه وآل ه(.

2. يعتقد عدد قليل من المهاجرين أنهم يستحقون دعم فصيل الأنصار عندما يتعلق الأمر بالدفاع عن المدينة ومهاجمة أهل قريش وصد زرع وتسريح فصيل الأنصا ر.

3. اشتاق الذين فاتتهم غزوة بدر إلى الله عز وجل.

4. يعتقدون أن الناس لا ينبغي أن يحلموا بالظفرة أثناء حصار قبيلة قريش للمسلمين في المدينة المنورة ،ويعتقدون أن هذا الحصار سيستمر لفترة طويلة وأن المسلمين سيتعرضون للتهديد بقطع الإمدادات.

هذا ما قاله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة والنعمان بن مالك وجماعة من الأنصار لرسول الله)صلى الله عليه وآله(يا رسول الله)صلى الله عليه واله(نحن قلقون من أن يظن أعداؤنا أننا لا نحب الخروج لاننا نخاف من مقابلتهم.)21(

في يوم أحد خاض رسول الله)صلى الله عليه وآل هـ(معركة شرسة فألقى سهامه حتى كسرت سهامه وانكسرت قوسه وانكسرت عصبه.)22(

وفي أحد كسرت يد الإمام علي عليه السلام وسقط العلم من يده، فقال رسول الله: «ضعوه على يده اليسرى، فهو لي في الدنيا والآخرة حامل العلم»، سقط المؤمنون على الأرض 16 مرة في ذلك الي و م.

وفي رواية الإمام الباقر)عليه السلام(«أصيب الإمام علي في يوم أحد الستين. بعد المعركة أمر الرسول بعض النساء أن يداوي جراحه، قالوا: يا رسول الله لا نعالجه إلا إذا انفصل عنه جرح آخر فنزل عليه الرسول فبدأ يمسح الجرح فقال بيده إذا واجه هذا الرجل فلأجله، لأنه منهك، وشفى جراحه في ذلك الوقت، قال نبيه، ثم قال:

الحمد لله لأني لم أهرب ولم أنظر إلى الوراء»، فهو امير المؤمنين)عليه السلام(هو المقصود في قوله عز وجل:

}وسَيجزي اللهُ الشاك ري نَ{)23(، وتلك آية شريفة نصها الكامل هو }وما مُحمَّدٌ إلاّ رسولٌ قد خَلت من قبل هـ الرسُلُ أفإن ماتَ أو قت لَ انقَلبتم على أعقاب كُم ومَن ينقَل ب على عَ قبي هـ فلن يضُرَّ الله شَيئاً وسَيجزي اللهُ الشاك ري ن{)24(.

معركة أحد لها سمات مميزة جديرة بالدراسة والنظر، مثل انسحاب المشركين من المعركة وعصيان بعض الرماة المرتبطين وكان لهذه المعركة أثر قوي على عملية القتال اللاحقة في التاريخ الإسلامي، وتشمل الميزا ت :

1. إن التوازن التاريخي بين جيش المسلمين والجيش المشرك ليس متساويًا، تمامًا مثل معركة بدر السابقة، كانلدى أحد المسلمين 700 مقاتل، بينهم مائة سهم وفارس، بينما كان لدى جيش المشركين 3000 مقاتل، منهم 700 سهم، ومائتي حصان، وثلاثة آلاف وكانت لديهم الابل كأداة لحمل الأشياء الثقيلة، وهناك أسلحة وأفراد، والفرس اهم وسيلة للهجو م.

2. ظاهرة جديدة في الحرب بين المشركين مع المشركين هي اظهار النساء اللواتي صعدن إلى الجبل ليغضبوا جيش المشركين ويحثوهم على القتال بدلاً من الهروب، فعمرو بن العاص أخذ زوجته «ريتا» وأبو سفيان وزوجته «هند» اكلة الاكباد، وكان مع المرأة غمرة بنت القامة الكنانية، قتلت على يد الشخص الذي يحمل راية الشرك بعد تسعة أشخاص قتلوا على يد امير المؤمنين)عليه السلام(.

هذه الظاهرة تدل على أن فشل الزنادقة مشكلة محتملة جدا في تفكيرهم، وبافتراض وجود مقاتلين للإمام علي)عليه السلام(في المعركة، فإن طرد النساء من العادات العربية أمر مخالف للعادات العربية، لأن الفشل هو القبض على النساء، فحتى المشركين أنفسهم لا يستطيعون تحمله.

3. ان خطة النبي)صلى الله عليه وآله(في حماية جيش المسلمين من الخلف دقيقة لكن الرماة خالفوا أوامر رسول الله)صلى الله عليه وآله(فما هي الإصابات والخسائر التي لحقت بالمسلمين؟ لا شك أن هذا السؤال وهي أيضا من سمات معركة أحد، لأنه لم تقع مثل هذه الجريمة الخطيرة في أي معركة في الإسلام، إذا استبعدنا الهروب من معركة حنين، فهذا يثبت أن بعض الناس يفتقرون إلى الإيمان العميق بهذه المعركة، ناهيك عن عدم فهمهم لمعنى التضحية ودورها الحاسم في انتصار الدين.

4. أظهر هروب المسلمين بسرعة من اتباع رسول الله «عندما سمعوا بقتل النبي» أن إيمانهم بالإسلام كان سطحيا يفتقر إلى اليقين، رغم إصرارهم على أن الرسول طلب القيادة الصادقة من الله في الرسالة.

اختلف هدف وأساس معركة أحد، ومدى الضرر الذي لحق بالمشركين، ومدى الدروس التي تعلمها المسلمون من المعارك الأخرى.

ورغم تكبد المسلمين خسائر فادحة إلا أن ذلك لم يمنعهم من المشاركة في المعارك الأخرى، في التوازن الجسدي والعسكري بين طرفي المعركة ليس معيارا للنصر أو الهزيمة، ولكنه معيار في عقيدة قتالية حقيقية، ويمثل الإمام)عليه السلام(هذا الاعتقاد القتالي الحقيق ي.

كان لمعركة أحد والبطولة الشخصية لامير المؤمنين)عليه السلا م(أثر مهم جدًا على المستوى المستقبليللإسلام، بما في ذلك :

1. التنظيم النفسي: خلال المعركة تحدث متغيرات نفسية مثل الخوف والقلق واله روب من ساحة المعركة وعدم التقدم، والتي لها تأثير مهم على الذكاء والانسجام النفسي لدى مقاتلي التخريب، أي تشويش نفسي في المجتمع الإسلامي يعني فشل نفسي لا يطاق للمسلمين في هذه المواقف الحرجة.

2. المسؤوليات التنظيمية: سلوك رسول الله)صلى الله عليه وآله(الجالس على حافة جبل أحد للسيطرة على جنود عبد الله بن الجبيل، وعصيانهم لأوامر النبي)صلى الله عليه وآله(وتركهم لمطاردة الغنائم درس مؤلم في الشعور بالمسؤولية الشرعية والروحية، لأن عمل هؤلاء الناس هو البقاء في مكانهم بدلاً من تركهم، لكن تبديد المسؤوليات الاجتماعية لهؤلاء الناس أدى إلى تبديد أكبر للمسؤوليات الدينية، لذا فإن أحد إنه تنظيم لواجب المحارب، درس لا يخالف أوامر رسل الله)صلى الله عليه وآله(.

3. العلاقات التنظيمية: تتطلب الحرب علاقات دينية متشابكة بين القائد وجنوده، فيكون الإمام علي)عليه السلام(في واقع الأمر ملتزمًا بأوامر رسول الله)صلى الله عليه وآله(أما الذين فروا من المعركة، فقد كشفت الحرب ضعفهم أمام العقيدة الإسلامية وفي الواقع يكشف مدى اهتمامهم بالمصالح الشخصية ومدى حبهم للعار واستشهاد الموت.

4. الشجاعة الشخصية: أثبتت الشجاعة الشخصية أنها أحد العوامل الحاسمة في معركة الإسلام الأولى، في ذلك الوقت جعلت التكنولوجيا العسكرية التي يمثلها السيف الشجاعة الشخصية تبرز، نقدم مثالا فقد كانت راية المشركين مع طلحة بن ابي طلحة العبدي من بني عبد الدار

فحاربه امير المؤمنين)عليه السلام(وصرعه وأخذ الراية منه وجاء بعده ابو سعيد فصرعه امير المؤمنين)عليه السلا م(وسقطت الراية منه فاستلمها مسافع بن ابي طلحة وصرعه كذلك امير المؤمنين)عليه السلام(، حتى صرع تسعة منهم من بني عبد الدار حتى صار لوائهم الى عبد من عبيدهم ذو لون اسود اسمه «صواب» فحاربه امير المؤمنين)عليه السلام(وقطع يده اليمنى، فأخذ اللواء باليسرى فضرب يسراه فقطعها فاعتنقها بالجذماوين الى صدره، ثم التفت امير المؤمنين)عليه السلام(الى ابي سفيان فقال له «هل عذرت في بني عبد الدار؟» فضربه القائد الأمين على رأسه فقتله فسقط العلم وأخذته غمرة بنت القمة الكنانية.)25(

المطلب الثاني: العمليات الدفاعية المتغيرة في زمن الائمة الاطهار

الدفاع الثابت هو أكبر جهد لاستخدام القوة النارية والعناصر المتحركة للإمساك بالأرض، وصد وتدمير القوات الهجومية أمام الحدود الأمامية للمسرح، ومنع العدو من اختراق الحدود الدفاعية، في هذا النوع من الدفاع يكون القائد هو اللاعب الحاسم على مستوى مقدمة المسرح أو الجبهة الدفاعية.

ووجدنا تطبيق هذا المبدأ في العمليات العسكرية في سيرة أهل البيت عليهم السلام، في المشاهد التالية:

. دفاع ثابت في معركة الخنادق:

يعد المسلمون الخندق كخطوط أمامية لمنطقة الحرب، حيث يمنع دخول جميع الأطراف، مما يدفع المسلمين لمفاجأة جميع الأطراف بهذا الخندق مما يسمح بصدهم ومنعهم من دخول أرض المدينة.

وقد كان امير المؤمنين)عليه السلا م(يشارك الرسول)صلى الله عليه وآله(عند إعداد الخطة الدفاعية، كان واثقًا من نصر الله تعالى، وعلم أن جنوده سيفتحون البلاد والآفاق كما وعد الله تعالى: }وَعدَ اللَّهُ ال ذينَ آمَنوا منْكُمْ وَعَ ملوا الصَّا لحا ت ليسْتخْل فَنهُمْ في الْأَرْ ض كَمَا اسْتخْلفَ ال ذينَ منْ قبل همْ وَليمَكّ نَنَّ لَهمْ دينهُمُ ال ذي ارتضَى لَهمْ وَليب دّلنهُمْ منْ بعْ د

خَوْف هِمْ أمْنا يعْبدُون ني لَا يشْ ركُونَ بي شَيئا وَمَنْ كَفَرَ بعْدَ ذَل كَ فأولئ كَ هُمُ الفَا سقُو نَ{ [26].

استمر حصار المشركين على المسلمين في كل الاتجاهات لأكثر من عشرين يومًا، لم يكن فيها قتال إلا رمي السهام والحجارة، وكان الخط الفاصل بين المسلمين والمشركين الخنادق، ومن كان خالفوا المسلمين بين المشركين كان عمرو بن ود، عكرمة بن أبي جهل، نوفل بن عبد الله بن ا لمغيرة، هبيرة بن أبي لهب، ومن أشدهم فظاظة على المسلمين عمرو بن عبد ود، ضرب الأرض بفرسه، وتجول على ظهر حصان، طالبا المسلمين بالمبارزة، فقام امير المؤمنين)عليه السلا م(وقال: «انا له يا نبي الله، فقال)صلى الله عليه وآله(: اجلس، ثم كرر عمرو النداء وبدأ يسته زئ بالمسلمين وجنتهم ونارهم، وقال: أين جنتكم التي تدعي أن من قتل منكم دخلها؟! وقف علي س من الثواني، فطلب منه النبي أن يجلس، فنادى أمير للمرة الثالثة، فقام علي، فأذن له النبي: «فبعد أن دعاه رسول الله

)صلى الله عليه وآله(تقدم علي»، قا ل :

«لَا تع جّل نّ فـ قَدْ اتاك*** مُجيب صَوْتكَ غَيْر عا جز ذو نبـهَة وَبصير ة*** وَال صّدْق منجا كُلّ فائ ز اني لَارجُو ان أق يم*** عليْكَ نَائ حَة الْجنائ ز منْ ضَرْبَة نَجلَاء*** يبقَى ذكْرهَا ع ندَ الهزائز» [27]. اقتحم حصانه لتعقيمه، واستل سيفه كالنار وأخذ زمام المبادرة لضرب علي)عليه السلام(تجنب ضربهبالسيف، فخسر السيف فشج رأس علي)عليه السلام(فقطع الامام)عليه السلا م(رجله فسقط على الارض،فأخذ علي لحيته وقطع رأسه، أصيب العدو بالذعر من موت سيدهم وأميرهم، فلقد أصابهم الخوف، كما هاجم المسلمون لأول مرة قب ل وقت من المبارزة بين علي وعمرو، أعطوا النبي 10000 درهم ليمنحوهم وقال جثمان عمرو هذا لك ما نأكل ثمن الموتى. [28]

ثم أرسل الله تعالى زوبعة من الريح على المشركين في ليلة باردة فامتلأت أوانيهم وألقيت مخابئهم وحل الليل فاستدعى أبو سفيان جنوده للمغادرة وعلاجهم قل: يا أهل قريش، إذا كنا نحارب الناس في الجنة ونزعم أن محمدًا هو محمد، فلا يحق لنا أن نأخذ الناس إلى الجنة. [29]

وفي رواية أخرى «أن رسول الله)صلى الله عليه وآل ه(وضع درعه على علي ولبس عمامته وقال: انطلق، فلما استدار قال النبي: اليوم الايمان كل ضد الشرك كله، وقال: ربّ لا تذرني فرداً، اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه، فاستقبل علي)عليه السلام(عمراً، فسمعنا تكبيرة علي)عليه السلام(فقال رسول الله)صلى الله عليه وآله(: قتله علي، وقال)صلى الله عليه وآله(: ابشر يا علي، لو وزن اليوم عملك بعمل امة محمد لرجح عملك بعملهم، فنزلت آية: }وكَفَى اللهُ المؤ منينَ ال قتالَ وكانَ اللهُ قوياً عَزيز اً{ [30]» [31]،وبحسب أمر الخوارزمي فقد سمع من كلام رسول الله)صلى الله عليه وآله(: «مبارزة علي يوم الخندق خير من عبادة الثقلين» [32].

أما المعنى العلمي لنص حرب الخندق فيمكن توضيحه على النحو التالي:

1. عدم استعداد المحارب المسلم لمحاربة عمرو بن عبد ود، الذي طالب بالمبارزة، فكان أكبر انتكاسة للحركة الدينية الجديدة في عادات العصر، فكيف يدعي المرء أنه يؤمن بعقيدة معينة؟ غير قادر على محاربة العدو؟ أليست المواجهة البطولية للعدو شهادة على يقين الإيمان بالحقيقة؟ إذا كانت أفعال المحتكرين أمثال عمرو بن عبد ود تخيف المسلمين، فما هو موقفهم أمام غيرهم من المحاربين الشجعان؟ تظهر شخصية فريدة مثل الإمام)عليه السلام(في ساحة المعركة لتواجهه بثقة وقدر ة.

لذلك فإن ظهور امير المؤمنين)عليه السلام(في تلك الحادثة الكبيرة من أعظم أعمال تقوية الإيمان بالدين الجديد، لذلك إذا تم موازنته مع العمل، فإن عمل الإمام)عليه السلام(أفضل من عبادة الثقلين، ولا عجب أن مبارزته تتفوق على عبادة الثقلين، وظهور كل الايمان على كل الشرك، كما ورد في الرواية.

كان فشل المشركين في محاربة المسلمين في ذلك اليوم لأسباب معقولة، منها: منهج رسول الله)صلى الله عليهوآله(ودعوته للحماية من الإسلام والمسلمين، وبادرة سلمان بالتخلي، والرياح العاتية في الليلة السابقة، وكذلكمبارزة امير المؤمنين)عليه السلا م(لعمر ومقتله، فقتل عمرو من أهم أسباب الفشل، وهم الدعامة الأساسية لثقة المسلمين بأنفسهم ولذلك كانت ضربة علي

يوم الخندق افضل من عبادة الثقلين [33]، كما قال النبي)صلى الله عليه وآله(، وكما اوضحها يحيى بن آدم: «لم تشبه مثل عمرو على يد علي)عليه السلام(الا بقول الله تعالى: }فهَزَمُوهُم بِإذ ن الله وقتَلَ د اوُدُ جالوتَ { [34]» [35].

2. حديث عمرو بن عبد ود العامري لعلي)عليه السلام(قبل المبارز ة: «والدك صديقي، فأكره قتلك» كذبة محضة لعمرو ويدعي التستر على فشله بسبب التاريخ، ودليل على أن أبا طالب رضوان الله تعالى عليه هو صديق عمرو ويرجى اعتباره صديق وعمرو يعرف بطولة علي)عليه السلام(فشهد بدر وأثبت أن البطل هوعلي)عليه السلام(فهو من قتل نصف القتلى يوم بدر فلا أصدق أنه لم يع رف بطولة الإمام)عليه السلام(، فقد كان غائبا في أحد، وما أردت أن يحدث في بدر سيكون أيضًا في أحد.

كلام الاستاذ ابن ابي الحديد يؤيد هذا: «والله عمرو لم يطلب الرجوع من علي الا اذا خاف منه لان عرف من قتل في بدر واحد، وكان يعلم أنه هو الخبير الذي يقتله، إنه يخجل من الفشل، لذلك أدلى بهذه التصريحات، إنه كاذب» [36].

3. وبينما كان القائد الرسول)صلى الله عليه وآله(مشغولاً بالمبارزة مع عمرو بن عبد ود، كان المسلمون أيضاً منشغلين بمشاهدة المبارزة بحذر وخوف، هكذا أشار الرسول، حتى قال)صلى الله عليه وآله(: «لو وزن اليوم عملك بعمل امة محمد لرجح عملك بعملهم» [37]، وهي مقولة لها مغزى كبير، لأن عمل البطل علي)عليه السلام(كان موازياً لعمل أمة بأكملها، لكن اللافت للنظر هو ملاحظة عمر بن الخطاب للحادث وروى ابن عساكر المسلمين عن السور: «فدار إلى علي نحو رسول الله)صلى الله عليه وآله(ووجهه فرحًا، قال عمر بن الخطاب: وهل تنزعون عن العرب درعهم؛ لأنه لا درع للعرب أفضل من هذا؟ قلت إنني ضربته وضربني بقسوته ثم خجل ابن عمي لسلبته» [38]، هذه من فضائل الإمام)عليه السلا م(، لأن شجاعته الفريدة وبطولاته في سبيل الله، فقط لنصرة دينه وليس من أجل دروع أو حصون، فيدرك عمر السبب ويحتل صميم أفكار هـ.

4. وذكر سلمان أن رسول الله حفر خندقا لحماية المدينة، وهي عملية عسكرية كبيرة إذا انتبهنا للظروفالصعبة التي يمر بها المسلمون في ذلك الوقت، وأشار الإمام الصادق إلى سلما ن: محمد،

بالإيمان الصادق، وصادقالنوايا، ومخلصًا لأهل بيت النبي عليهم السلام، فأقام الرسول الأخوة معه في المدينة المنور ة.

وبعد وفاة رسول الله)صلى الله عليه وآله(عين أميرا على المدائن فيعمل باجتهاد مجتهد لا يمد الخزانة ولا يأخذ شيئا، وكان عطاؤه خمسة الاف درهم لا يأخذ منها شيئا ويعطيها للفقراء والمحتاجين، وكان ياكل من عمل يده رضوان الله تعالى عليه.

النتائج:

1(ان أئمة أهل البيت عليهم السلام قد طبقوا مبدأ الاستخدام الصحيح للأرض في عدة مواقف عسكرية، لأنهم يحرصون على دخول ساحة المعركة وإجراء البحوث العسكرية واختيار المناسب منها وترك ما ليس عدوًا مناسبا؛ من أجل ضمان السيطرة على الأرض، كتعويض عن السعة غير الكافية.

2(هناك العديد من أشكال العمليات الدفاعية وأنواع الدفاع، من نوع العمليات)الدفاع الثابت والدفاع المتحرك(، وأنواع التحضير)الدفاع عن الفرص والدفاع في حالات الطوارئ(، وأنماط الدفاع الأرض)دفاع عادي، دفاع حلقي، دفاع نقطة ارتكاز، دفاع عن النهر أو الساحل، دفاع ضد المنحدرات، دفاع سكني(.

3(بشكل عام تعتبر الأعمال الهجومية في الإسلام وعند أئمة أهل البيت عليهم السلام عمليات تتم من خلال تطبيق وتنسيق جميع فنون الدفاع عن النفس، مع مراعاة الجانب التكتيكي العام، فيمكن تنفيذ جميع العوامل الأخرى والهجمات المنسقة التي تؤثر على القتال قبل أو بعد العمليات الهجومية الأخر ى.

الهوامش والمصادر:

1(ينظر: مجموعة مؤلفين ،)دت(. تكتيك الدفاع. فلسطين: أكاديمية فلسطين العسكرية، ص:7.

2(الحراني، ابن شعب ة.) دت(. تحف العقول. بيروت: مؤسسة الاعلمي، ص:١٩١، المنقري، ابن مزاحم.)دت(. وقعة صفين. بيروت: دار الكتب العلمية، ص:١٢٣، الدينوري، أحمد بن داود.)1960م(. الأخبار الطوال. القاهرة: دار إحياء الكتب العربي ،ص:166.

[3](صياصي الجبال: أطرافها العالية، ينظر: الطريحي، فخرالدين بن محمد.)1362ش(. مجمع البحرين. تحقيق: السيد أحمد الحسيني، طهران: مرتضوي، ج:2، ص :1063.

[4](يُنظر: الحراني ،تحف العقول: ص:١٩١، المنقري ،وقعة صفين: ص :١٢٣.

[5](ينظر: الحراني ،تحف العقول: ص:١٩٣.

[6](سورة قريش: 3-4.

[7](سورة النساء: 71.

[8](ينظر: مجموعة مؤلفين ،تكتيك الدفاع: ص:8.

[9](محفوظ، محمد جمال الدين.)1981م (. النظرية الاسلامية في الاستطلاع والأمن ومقاومة الجاسوسي ة. القاهرة: دار الاعتصام ،ص:21-22.

[10](ينظر: مجموعة مؤلفين ،تكتيك الدفاع: ص:21.

[11](مجموعة مؤلفين ،تكتيك الدفاع: ص:21.

[12](ينظر: مجموعة مؤلفين ،)دت(. تكتيك الوحدات الصغرى. فلسط ين: أكاديمية فلسطين العسكرية، ص:165، مجموعة مؤلفين ،تكتيك الدفاع: ص:22.

[13](السيد المرعشي ،)1406هـ(. شرح إحقاق الحق. قم المقدس ة: مطبعة الخيام، ج:6، ص: 91.

[14](ينظر: البحراني، هاشم.)2001م (. غاية المرام. جبل لبنان: مؤسسة التاريخ العربي، ج:٦، ص:٣١٨.

[15](ابن شهرآشوب ،)1956م(. مناقب آل أبي طالب. النجف الاشرف: المطبعة الحيدرية، ج:2، ص: 80.

[16](ينظر: الأمين، السيد محسن.)دت(. في رحاب أئمة أهل البيت. بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ج:1، ص:171.

[17](الأمين ،في رحاب ائمة اهل البيت: ج:1، ص:171.

[18](الأمين ،في رحاب ائمة اهل البيت: ص:203.

19(المطلبي، محمد بن إسحاق بن يسار.)2004م (. سيرة ابن إسحاق. بيروت: دار الكتب العلمية، ص:325، بن حبان، محمد.)1417هـ(. السيرة النبوية وأخبار الخلفاء. بيروت: الكتب الثقافية، ج:1، ص :221، ابن حزم، علي بن أحمد.

)2003م(. جوامع السيرة. بيروت: دار الكتب العلمية، ص:124، السباعي، المصطفى.) 1405هـ(. السيرة النبوي ة. ايران:

المكتب الإسلامي، ط3، ص: 84.

20(ينظر: خلف الله، أحمد عز الدين.)1959م (. غزوة أحد. دب: شركة الاتحاد للتجارة والطباعة والنشر، ص:50-52.

21(ينظر: الزرقاني، محمد بن عبد الباقي.)1417هـ(. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدي ة. بيروت: دار الكتب العلمية، ج:2، ص:394، خليل، عماد الدين.)1425هـ(. دراسة في السيرة . بيروت: دار النفائس، ج:1، ص:157.

22(ينظر: ابن الأثير ،الكامل في التاريخ: ج:2، ص: 157.

23(سورة آل عمران: 144.

24(سورة آل عمران: 144.

25(ينظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن.)2006م(. تفسير مجمع البيان. بيروت: دار المرتضى، ج:2، ص:378.

26(سورة النور: 55.

27(النيسابوري، محمد بن عبد الله.)1411هـ(. المستدرك على الصحيحين في الحديث. بيروت: دار الكتب العلمية، ج:3، ص:32.

28(الشاهرودي، الشيخ علي النمازي.)دت(. مستدرك سفينة البحار. قم المقدس ة: مؤسسة النشر الإسلامي، ج:٧، ص: 10.

29(ينظر: الاعرجي، زهير.)1421هـ(. السيرة الاجتماعية للامام علي بن أبي طالب. قم المقدس ة: المطبعة العلمية، ص:369-374.

30(سورة الاحزاب: 25.

31(قندوزي، سليمان بن إبراهيم.)1966م(. ينابيع المودة. العراق: دار الكتب العراقية، ص:94–95.

32(الخوارزمي، الموفق بن احمد.)1411هـ(. المناقب. ايران: مؤسسة النشر الإسلامي، ص: 64.

33(ينظر: الايجي، عبد الرحمن بن أحمد.)1407هـ (. المواقف. بيروت: عالم الكتب، ج:8، ص: 371.

34(سورة البقرة : 251.

35(النيسابوري ،المستدرك على الصحيحين: ج:3، ص:34.

36(الموسوي، اسلام.)دت(. الإمام علي)ع(سيرة وتأريخ. ايران: ستاره، ص:119.

37(المجلسي، محمد باقر.)دت(. بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار. قم: دار احياء الكتب الإسلامية، ط1، ج:٢٠، ص:٢١٦.

38(ابن عساكر، الدمشقي)1978م (. تأريخ مدينة دمشق . بيروت: مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، ج:1، ص:154.